

الانجاز الحربي والعمراني لملوك سلالة أور الثالثة في العراق القديم

الدكتورة

تغريد ناظم محي

كلية التربية للبنات - جامعة بغداد
العراق

الخلاصة

سلالة أور الثالثة هي أسرة سومرية أسسها في مدينة أور الأمير الشهير اور نمو وقد بلغ عدد ملوكها خمسة حكموا أكثر من مائة سنة (2111 – 2003 ق م) اشتهرت هذه السلالة بتعمير البلاد وإعادة اللغة السومرية للتداول بعد أن طغت اللغة الأكادية، وتقديم الالهة السومرية القديمة على غيرها من الالهة وإقامة الشعائر الطقوسية السومرية القديمة. وقد تقدمت الحضارة في هذا العهد تقدما محسوسا وانتشرت المعارف بمختلف مناحيها من علوم وآداب وفنون ونالت أور القسط الأوفر من العناية حتى أصبحت قبلة الشرق القديم وقد دون في هذه الفترة كثير من الأخبار التاريخية القديمة وسطرت الأساطير والقصص الدينية. هذا البحث يتضمن دراسة موجزة عن سلالة أور الثالثة كمدخل تعريفي وتاريخي بها.

المقدمة

من المعروف تاريخياً ان سلالة أور الثالثة (2112 – 2006/4 ق.م) والتي تأسست بعد موت الملك (أوتو – حيجال) (1) ملك سلالة الوركاء الخامسة وانتقل الحكم إلى سلالة أور الثالثة ، التي تمثل واحدة من أزهى فترات تاريخ العراق القديم ؛ ليس فقط لأن (أورنمو) وخلفائه قد استعادوا رقعة الإمبراطورية الأكديّة السابقة بكامل امتدادها واتساعها ؛ وإنما لأنهم قدموا لبلاد وادي الرافدين قرناً من العلاقات السلمية مع الامبراطوريات المجاورة وقدموا الرخاء الاقتصادي (2) ؛ كما عملوا على إحياء كل فروع الفن والأدب السومري . وهو ما حدى ببعض المؤرخين إلى إطلاق اسم (عصر الإحياء السومري) على فترة حكم هذه السلالة . وقد تجنب ملوك هذه السلالة العوامل التي أنهكت قوى الإمبراطورية الأكديّة ، كالتفرقة بين السومريين والجزريين ؛ فاستعانت بالعنصرين معاً في الجيش وفي المناصب الإدارية (3) . كما جمعت بين اللغتين السومرية والأكديّة في بعض الوثائق الرسمية والأدبية . وحمل بعض ملوكها أسماء ذات طابع جزري ، مثل (شو – سن) و (أبي – سن) . ومع ذلك فلم يغفلوا عن انتسابهم إلى السومريين ؛ وتركيز الحكم في العاصمة أور ؛ التي ظلت تشرف على كل شؤون المدن والأقاليم التابعة ؛ كما اهتموا بنظام البريد لإبلاغ الأوامر إلى حكام الأقاليم ؛ اللذين اعتبروهم مجرد موظفين يخضعون للنقل من إقليم لآخر (4) (5) . واتخذ ملوك هذه السلالة من مدينة أور عاصمة لهم ، وتم إعادة بناء المدينة كلياً على يد ملوكها (أورنمو ، شلجي ، أمار- سن) ؛ وكان لمدينة أور ميناء حيث ازدهرت التجارة فيه مع بلدان الخليج العربي وما ورائها حتى القرن الثامن شر قبل الميلاد ؛ كما كانت مركزاً هاماً لعبادة الإله القمر (نانا – سن) ؛ في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد ؛ وقد شملها ملوك بابل بالرعاية والترميم . ويبدو أنها هجرت في القرن الرابع قبل الميلاد ، بسبب تغير النهرين لمجريهما .

أما فيما يتعلق بالنصوص السومرية ، كانت أغلبها نصوصاً اقتصادية ؛ عثر عليها في لجش و أوما و أور ؛ كما ضمت نصوصاً قضائية أفادت في معرفة قواعد اللغة السومرية وتاريخ القانون السومري . كما وصلتنا تأليف أدبية من سلالة أور الثالثة ، كما عثر على كتابات أدبية سومرية ؛ وتعتبر كتابات جودية حاكم أسرة لجش الثانية أول إنتاج أدبي سومري (6) .

الأنجاز الحربي والعمراني لسلالة أور الثالثة

أما في المجال الحربي ، فقد أمتد نفوذ السومريين إلى الأقاليم المجاورة وخاصة مجان و عيلام وشمال العراق ؛ حيث قام أورنمو بحملة في البلاد المتاخمة للبحر العلوّي تمشياً مع سياسة أسلافهم الأكديين في فرض سيطرتهم على سورية . ومن أعمال أورنمو ، حفر القنوات لتنظيم الري والنقل حيث أنصب اهتمام أورنمو على شق القنوات ؛ وهي من الأعمال ذات الأهمية القصوى في جنوب العراق ؛ يكمله تطهير المجاري القائمة في ترسبات الطمي (7) . والاهتمام ببناء المعابد ، حيث بنى معبد (أيكور) في نيبور ؛ بناءً على توجيهات الإله (إنليل) ، الجبل العظيم ؛ (اختاره من بين كل شعبه ... (ليعيد بناء) الهيكل (أيكور) . أما تشريعات أورنمو فتعد من أهم التشريعات العراقية القديمة (8) ، وقد دونت الشريعة على لوح (نفر) (9) ، وهي موجودة حالياً بين مجموعات متحف الشرق القديم في اسطنبول . واللوح ينقسم إلى ثمانية أعمدة ، يوجد أربعة منها في كل وجه ؛ أما فيما يتعلق بمحتويات الشريعة فتشير كيف أن الإله (ننا = سن) قد اختاره ليحكم سومر و أور نيابة عنه ؛ وكيف أن أورنمو قد قام برعاية أور في مختلف الشؤون الإدارية والحربية ؛ وكيف استطاع أن يستعيد حدود دولة أور السابقة بفضل رعاية الإله ؛ ثم بدأ يركز على شؤون البلاد الداخلية ؛ فقد قام بالعديد من الإصلاحات ؛ وأقام النظم الخاصة بضبط الأوزان ؛ ودافع عن اليتامى والأرامل (10) .

ومن بين الأمور التي اهتم بها ملوك هذه السلالة وعلى وجه الخصوص الملك أورنمو وشولجي ، وهي العاصمة أور ذات الشكل البيضوي فأعاد تسويرها ؛ ووسع أرصفتها على نهر الفرات ؛ وجعل الماء يحميها من ثلاث جهات ؛ وكانت معابده مقامة في ساحة واسعة داخل المدينة ؛ كما بقيت الأجزاء من هذه المعابد حتى الآن ؛ ولأهمية سور أور فقد سمى أورنمو ؛ العام الذي شيد فيه بهذا المعنى . دائماً ما يقترن اسم أور بزقورتها العالية في بلاد النهرين حيث أقام أورنمو العديد منها في الوركاء وأريبدو ونيبور . وتعتبر زقورة أور أكثرها حفاظاً وقد شيدت باللبن ، وكسيت من الخارج بطبقة سميكة من الحجر الأحمر المفخور المثبت بالقار ؛ وتبلغ قاعدة الزقورة (62.50 × 43 م) ؛ وكانت تضم ثلاثة طوابق يعلو الطبقة الثالثة المعبد العلوّي ؛ وتكون الطبقة الأولى أكبر هذه الطبقات ؛ أما الطبقة الثانية فتكون أصغر من الطبقة الأولى وأكبر من الطبقة الثالثة ؛ أما الطبقة الثالثة فتكون أصغر من الأولى والثانية وأكبر من المعبد العلوّي (11) . وتحتوي على سلّم رئيس واحد وسلّمين جانبيين)

ثانويين) ، يؤدي الرئيس منها إلى المعبد العلوي ؛ وتميل جدرانها إلى الداخل كلما ارتفعنا نحو الأعلى ؛ وتختلف الزقورة عن الإهرامات لكزن الأخيرة بناء مجوف في حين أن الزقورة بناء صلد غير مجوف ؛ كذلك استخدمت الإهرامات كمقابر للملوك في حين أن الزقورات استخدمت كمعابد للآلهة . ولم يتبق من زقورة أور سوى الطبقة الأولى وأجزاء من الطبقة الثانية ؛ وترتفع الآن حوالي عشرين متراً (12) .

ملوك سلالة أور الثالثة

حكم في هذه السلالة خمسة ملوك وهم أورنمو (2112 – 2096 ق.م) ، شولجي (2095 – 2048 ق.م) ، أمار – سن (2047 – 2039 ق.م) ، شو – سن (2038 – 2030 ق.م) ، أبي – سن (2029 – 2004/6 ق.م) (13) . وهنا سنستعرض كل ملك منهم بإيجاز مع نبذه عن ماتخلته فترة حمه من احداث.

• أورنمو

تمكن أورنمو من حكم سلالة أور الثالثة بعد القضاء على (أوتو – حيجال) – يعني أسمه محارب الإلهة نمو – أستطاع إخضاع الكثير من المدن السومرية والآكدية ، فلقبوا أنفسهم بلقب (ملك سومر وأكد) و (ملك الجهات الأربعة) ؛ وإن ظل الأخير شرفياً ؛ وليس فعلياً بالرغم من جهودهم في سبيل توسيع حدودهم ؛ واعتراف آشور في الشمال بنفوذهم ؛ كما أقام أهل (أشنونا) معبداً في مدينتهم نسبه لملك أور (شو – سن) . قام أورنمو في السنوات الأولى من حكمه ببسط سيطرته على جنوب بلاد النهرين ، وأعاد العلاقات التجارية مع مجان (عمان) عبر الخليج العربي . وهكذا حكم أورنمو مدينة أور وأريديو و الوركاء وأقام عدة مبان في نيبور ولارسا وكيش ، ولا يوجد دليل واضح على أنه شن حرباً ضد جيرانه ؛ ويبدو أنه استقطبهم بالوسائل الدبلوماسية . وأهتم أورنمو بالعاصمة أور وأقام المعابد فيها وعلى وجه الخصوص معبد الإله (ننا = سن) وزوجته (نينجال) ، كما اقترن اسمه ببناء الزقورات ؛ إضافة إلى اهتمامه إلى إعادة بناء ما تهدم من معابد الآلهة الأخرى . وأنصب اهتمامه بشق القنوات . كما سنن التشريعات أو ما يعرف بإصلاحات أورنمو ، والتي اعتمدت على مبدأ التعويض وليس القصاص وعلى وجه الخصوص على الجروح التي لا تقضي إلى الموت . كما سعى إلى توحيد المكاييل والأوزان ، رغبة في تخليص المواطنين ممن يستغلون ماشيتهم وأغنامهم .

وفي النهاية فقد تعددت أنشطة الملك أورنمو في شتى المجالات ، وقد ترك عدة لوحات منحوتة من الحجر تظهر الملك بانياً للمعابد . وقد وصل فن النحت إلى مستوى جيد من التنفيذ التقني ، غير أنه افتقر إلى التنوع إذا ما قورن بالنحت في العصر الآكدي . وفي مجال الأدب فق أوجد أورنمو وخلفاؤه صدى كبير في الأدب ، وكان من إنتاجه الأدبي (رحلة أورنمو إلى العالم الأسفل) ، وهو نص أدبي يصف دخول الحاكم المتوفى إلى العالم الأسفل ؛ ويوصف فيه بأنه أخو جلجامش ؛ الذي يطيب خاطره مع آلهة ذلك العالم بالهدايا . وأخيراً فقد مات أورنمو في معركة لا توجد عنها معلومات ، حيث يذكر نص أحد الألواح أن هذا الملك " نبذ في ميدان المعركة مثل قارب محطم " مما يشير إلى مصرعه .

• شولجي

قد خلف والده على عرش أور الثالثة – ويعني اسمه الشاب النبيل – قضى معظم النصف الأول من حكمه في إقامة عدة مشاريع ، وفي مقدمتها إكمال مجموعة معابد و زقورات لم يستطع أبوه استكمالها ؛ مثل زقورة أور و الوركاء ؛ كما جدد بناء حارة (ثمال) ؛ مقر عبادة الإلهة (نليل) في مدينة نفر (نيبور) . وأصلح التقويم ووجد قيم الموازين والمكاييل ؛ وهناك نماذج من هذه الموازين المنقوشة باسم الملك شولجي ومقدار الوزن ؛ وهي مشكلة من الحجر غالباً على هيئة بطة ؛ تلف رؤوسها إلى الخلف ؛ وترخر بهذه النماذج المتاحف العالمية وعلى رأسها المتحف العراقي(14) .

وقد أوجد شولجي نظاماً إدارياً موحداً سومر وأكد مركز مملكته بتعيين حكام مدربين من قبله وإن كانوا من الأسرة الحاكمة في تلك المدن .

كما استعان بالقواد العسكريين (الحكام العسكريين) والذين كانوا يكتبون تقاريرهم للملك مباشرة ، وقد تولى إدارة الأقاليم البعيدة عن سومر وأكد قواد عسكريين أيضاً . كما أحكم قبضته على أراضي المعابد ، وأوجد نظاماً ضريبية جديدة . وهذا النظام الإداري كان يلزمه عدد غير محدود من الكتبة ، وهو ما أفرز هذا الكم الهائل من الألواح ذات الطابع الاقتصادي ؛ وكان لابد من إقامة المدارس لهذا الغرض ؛ وقد وصف نفسه بأنه محباً للأدب السومري ؛ ووصف شبابه في المدرسة وأنه حاز كل العلوم ؛ وصار كاتباً ماهراً . واهتم شولجي بطرق المواصلات وراحة المسافرين عليها ، حيث وسع الطرق وجعلها مستقيمة ؛ وعمل على تأمينها ؛ وبنى عليها استراحات كبيرة زرع حولها الحدائق ليستريح المسافرين في ظلها ؛ وهو أمر هام لكثرة الطرق وانتشارها ؛ والتي كانت تشكل تهديداً كبيراً للتجار المسافرين عليها . كما ربط شولجي الأقاليم بعضها ببعض بتنظيم حاملي البريد من العدائين ، مع تجهيز محطات لضمان وصول تعليماته إلى حكامه عليها . وأتبع شولجي سياسة الملك الأكدي (نرام - سن) ، وحمل لقب ملك الجهات الأربع .

وهناك دلائل كثيرة على تقديس هذا الملك إلى حد العبادة في حياته وبعد مماته ، فقدمت له القرابين في أنحاء الإمبراطورية مرتين في الشهر ؛ وسمى أحد شهور السنة في التقويم السومري باسم (شولجي المقدس) ؛ وبعد موته شيد معبد فوق قبره الفخم في أور لتقدم له فيه القرابين ؛ وهناك أكثر من ثلاثين ترتيلة دينية خصصت لهذا الملك خوطب فيها كواحد من الآلهة ؛ وقد تميزت تلك التراتيل بأسلوبها الأدبي الرفيع (15) . كما سمي البعض أولاده باسم (شولجي إيلي) بمعنى (شولجي إلهي) ، (شولجي باني) بمعنى (شولجي الخالق) ؛ (شولجي أبي) بمعنى (شولجي أبي) (16) .

وبعد حوالي عشرين سنة من حكمه ، تبدأ الاضطرابات في الأقاليم مما دفعه إلى توجيه حملات ضد هذه الأقاليم ؛ وفي العام الرابع والثلاثين ؛ وجه حملة ضد (أشنان) وهي أهم الولايات العيلامية ؛ وحملة ضد القبائل اللوبية (17) .

• أمار - سن

خلف أبوه شولجي في الحكم - يعني اسمه بالسومرية (عجل الإله سن) ، ويُلاحظ أن هذا الملك وخليفته ذوي أسماء جزرية(18) . ومثل أبيه فقد قضى وقته ما بين أعمار المعابد والمنشآت الدينية والحملات الحربية وخاصة في الشمال الشرقي للعراق ، كما قدس أيضاً مثل أبيه ونعت بأنه (الإله الذي يحيي البلاد) أو (الإله الشمسي الذي يقضي في الأرض) . وقد ذكر أنه دفن جنباً إلى جنب مع أبيه . ركز (أمار - سن) اهتمامه السياسي والعسكري على المنطقة الشرقية دائمة التهديد لحضارة بلاد ما بين النهرين ، وكذلك المنطقة الشمالية الشرقية ؛ والتي لم تخضع خضوعاً تاماً لسلطان إمبراطورية أور . فأرسل حملة إليها من بداية حكمه ، حيث عرف العامين السادس والسابع حيث خرجت الحملات إلى شمشارة ونوزي التي وصفت بأنها مزلاج أرض أشنان أي المدخل إليها ؛ وتقع إلى الشرق من سوسة . وقد حرص الملك على حكم المنطقة الشرقية عن طرق أتباعه المخلصين الذين عينهم في حكم سوسة . وقد بذل (أمار - سن) جهوداً كبيرة في اعمار العاصمة أور ونيبور كما أقام معبداً في أريدو للإله (أيا = إنكي) (19) . توفي (أمار - سن) بسبب مرض تعرض له ، وأنه توفي بعد سنوات من توليه العرش .

• شو - سن

خلف أخيه على عرش أور وحكم تسع سنوات قضاها في البناء والحملات الحربية - يعني اسمه (هو يخص المعبود سن) - وقد أقام ببناء معبد للإله (شارا) في مدينة أوما ، واستغرق بناؤه سبع سنوات ؛ استخدمت فيه تسع ملايين آجرة كبيرة وسبعة وعشرين مليون آجرة صغيرة . كما شيد الحاكم له معبداً في أشنونا والمدعو (إيتوريا) كرس لعبادة الملك(20) . وقد واجهت هذا الملك عدة قلاقل في الشمال الشرقي لبلاد النهرين ، فقام بمعاينة مناطق (سيمانوم) - شمال مردين جنوب تركيا - ويعتبر هذا أول معسكر لأسرى الحرب في بلاد ما بين النهرين . كما حمل (شو - سن) على قبائل (سو) في جبال زاغروس مرتين ، مرتين ؛ الأولى لطلب الغنائم من رصاص ونحاس وبرونز حملها الحكام الآخرون(21) .

أما عن الشرق فقد عمد (شو - سن) على توثيق علاقته بعيلام كأسلافه ، فقام في العام الثاني من حكمه بتزويج واحدة من بناته لحاكم انشان(22) . وهناك ما يشير إلى أن (شو - سن) قد عهد بتأمين المنطقة الشرقية إلى حاكم لجش ، كما عينه حاكماً عسكرياً على مدن الشمال الشرقي والشرق وشعب (سو) ؛ وكانوا يعيشون شرقي الموصل الحالية .

وقد أمتد نفوذ هذا الحاكم على المنطقة من أربيل في الشمال حتى الخليج العربي في الجنوب(23) . عُرفت السنة الرابعة من حكم (شو - سن) بأنها السنة التي شيد فيها سور الأموريين وسمي هذا الجدار (مورق تدنم) أي الذي يصد جموع الأموريين ، وكان التدفق الأموري قد لوحظ منذ العصر الأكدي .

• أبي - سن

خلف أباه (شو - سن) على عرش أور - يعني اسمه (سن الذي سماه) - وحكم أربعة وعشرين عاماً . وما أن تولى العرش حتى بدأت الإمبراطورية في التبعثر ، حيث أعلنت دويلات المدن الغربية استقلالها الواحدة تلو الأخرى وانفصلت عن أور ؛ كانت مدينة أشنونا أولها في السنة الثانية من حكم هذا الملك ؛ تلتها مدينة سوسة عاصمة عيلام في الشرق في السنة الثالثة . وفي نفس الوقت شكل الأموريون ضغطاً متزايداً على حدود المملكة(24) . وقد واجهته القلاقل في السنوات الخمس الأولى من حكمه في الشمال الشرقي ، فقام بإصلاح تحصينات مدينتي أور ونيبور . ثم وجه (أبي - سن) آخر حملاته في الشرق في العام الرابع عشر من حكمه ؛ والذي عُرف بأنه العام الذي سار فيه ملك أور مع جيش ضخم إلى أرض انشان ؛ واكتسحها كالإعصار والظوفان . وكان من إمارات انهيار وتفكك الجبهة الداخلية للملكة وبالتالي فقدان سيطرة الملك المركزية على الأجزاء المختلفة من البلاد ، أن الكثير منها لم يلتزم باستخدام الحوادث الرسمية المستعملة في التاريخ ؛ بل لجأوا إلى حوادث خاصة بهم ؛ مما يعني عدم الاعتراف بالسلطة المركزية . كما تهاون حكام الأقاليم في إرسال حيوانات القرابين إلى معبد (ننا) في أور من العام السادس من حكم هذا الملك ؛ وكان ذلك من العوامل التي ساعدت على سقوط أور بسبب الحاجة الاقتصادية والفقر الذي ترتب على تلك المقاطعة ؛ وقد برزت تلك المشاكل إلى السطح في منتصف العام السادس من حكم (أبي - سن) (25) . ثم جاءت الضربة الأخيرة لسلالة أور الثالثة في العام الرابع والعشرين من حكم (أبي - سن) ، على يد جيش من أعداءها الجبليين في الشرق ، من أرض عيلام . وقد ظل هذا الملك يقاوم العيلاميين حوالي عشر سنوات ، حتى سقطت أور وحل بها الخراب والمجاعة ؛ وأخذ الملك أسيراً إلى عيلام حتى مات هناك . وبهذا تنتهي المحاولات الأخيرة للسيادة السومرية في بلاد ما بين النهرين . حيث اندمجوا مع غيرهم من الجزريين ، وإن ظلت لغتهم وأدابهم ذات أثر واضح في العراق القديم حتى آخر عصوره الحضارية .

المصادر

- (1) فرج بصمة جي ، كنوز المتحف العراقي ، بغداد - 1972 ، ص ص 32 - 34 .
- (2) ل . ديلابورت ، بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والآشورية) ترجمة محرم كمال ، مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية للكتاب - 1997 ، ص ص 40 - 41 .
- (3) ل . ديلابورت ، المرجع نفسه ، ص 38 .
- (4) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد - 1986 ، ص 312 .
- (5) أنطوان مورثكات ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ترجمة توفيق سليمان وآخرون ، دمشق - 1967 ، ص ص 107 - 108 .
- (6) فوزي رشيد ، قواعد اللغة السومرية ، بغداد - 1972 ، ص 29 .
- (7) رضا جواد الهاشمي ، " الملاحاة النهرية في بلاد الرافدين " ، مجلة سومر ، العدد 37 ، بغداد - 1981 ، ص ص 36 - 56 .
- (8) للمزيد من المعلومات عن تشريعات أور نمو يُنظر :- عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ، جامعة الموصل - 1977 . ؛ فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديم ، بغداد - 1979 .
- (9) صموئيل كريمير ، من ألواح سومر ، ترجمة طه باقر ، تقديم ومراجعة أحمد فخري ، بغداد - 1957 ، ص ص 120 - 121 .

- (10) صموئيل كريمير ، المرجع نفسه ، ص 119 .
- (11) شريف يوسف ، تطور فن العمارة العراقية في مختلف العصور ، بغداد – 1982 ، ص 77 .
- (12) شريف يوسف ، المرجع نفسه ، ص 78 .
- (13) هاري ساكز ، عظمة بابل (الملحق) ، ترجمة عامر سليمان ، الموصل ، ص 6 .
- (14) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، المرجع السابق ، ص 387 .
- (15) طه باقر ، المرجع نفسه ، ص ص 387 – 388 .
- (16) ل . ديلايورت ، بلاد ما بين النهرين ، المرجع السابق ، ص 41 .
- (17) طه باقر ، المرجع السابق ، ص ص 388 – 389 .
- (18) طه باقر ، المرجع نفسه ، ص 389 .
- (19) طه باقر ، المرجع السابق ، ص 390 .
- (20) طه باقر ، المرجع السابق ، ص ص 390 – 391 .
- (21) سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج 2 ، جامعة بغداد – 1983 ، ص ص 121 – 122 .
- (22) سامي سعيد الأحمد ، المرجع نفسه ، ص 121 .
- (23) طه باقر ، المرجع السابق ، ص ص 390 – 392 .
- (24) سامي سعيد الأحمد ، المرجع السابق ، ص ص 122 – 123 .
- (25) طه باقر ، المرجع السابق ، ص ص 393 – 394 .